بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البيعة لخليفة المسلمين
ح3

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه وسار على دربه، واهتدى بهديه، واستن بسنته، ودعا بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين، واجعلنا معهم واحشرنا في زمرتهم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لا سهل إلاَّ ما جعلته سهلا ، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلا.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

ربِّ اشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي.

أحبتنا الكرام: مستمعي إذاعة المكتب الإعلامي لحزب التحرير، أحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

أحبتنا الكرام: حديثنا في هذا اليوم هو عن البيعات التي تمت في عهد النبي ﷺ.

لَقَدْ أنزَلَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتعَالى رسَالةَ الإسلام، وَهِيَ رسَالةٌ عَامَّةٌ شَامِلةٌ لِلبشريَّةِ جَمعَاء، تُنظِّمُ شُؤونَ الحَياةِ كُلَّهَا، وَتُعَالِجُ مَشاكِلَ الإنسَانِ مِنْ حَيثُ هُوَ إنسَانٌ، وَتُنظِّمُ عَلاقاتِهِ مَعَ خَالِقِهِ، وَمَعَ نَفسِهِ، وَمَعَ غَيرِهِ مِنْ بَني البَشَرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكانٍ.

وَعِندَمَا أرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلمُسلمينَ أنْ يَكُونُوا أمَّةً وَاحِدَةً، ذاتَ كِيَانٍ مُتَفَرِّدٍ يُطبِّقُ شَرعَ اللهِ عَلى أفرَادِهِ، وَيَحْمِلُهُ إلى العَالمينَ بالدَّعوَةِ وَالجِهَادِ هَيَّأ لَهُمْ ذلكَ. تُحَدِّثُنَا كُتُبُ السِّيرَةِ النَّبويَّةِ عَنِ البَيعَاتِ التي تمَّتْ فِي عَهدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وَهِيَ ثلاثٌ:

أولاً: بيعة العقبة الأولى:

في مَوسِمِ الحَجِّ سَنَةَ اثنتَيْ عَشْرَةَ مِنَ النُّبوَّةِ، اتَّصَلَ وَفدٌ مِنَ الأنصَارِ وَهُمْ مِنَ الأوسِ وَالخزرَجِ برَسُولِ اللهِ ﷺ عِندَ العَقبَةِ بِمِنَى فبَايَعُوهُ بَيعَةَ

العَـقـبَةِ الأولى، وَالتي عُرفـتْ بـبَيعَةِ النـِّسَاء ـ أي وفـْـقَ بَيعَـتـِهنَّ ـــ حَيثُ بَايَعُوهُ عَلى أنْ لا يُشركـُوا باللهِ شَيئاً وَلا يَسرقـُوا وَلا يـَزنـُوا، وَلا يـَقتـُـلـُوا أولادَهُمْ وَلا يَأتوا بـِبُهتـَانٍ يـَفتـَرونـَهُ بَينَ أيديهمْ وَأرجُـلِهمْ، وَلا يَعصُونـَهُ فِي مَعرُوفٍ.

وَقـدَ وَرَدَ ذِكـْرُ بَيعَةِ النـِّسَاء فِي سُورَة المُمتـَحِنـَةِ حيث قال عز من قائل:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} الممتحنة12

ثانياً: بيعة العقبة الثانية :

فِي مَوسِمِ الحَجِّ مِنَ السَّنـَةِ الثـَّالِثةَ عَشْرَةَ مِنَ النـُّبوَّةِ، بَايَعَ الأنصَارُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَيعَـةَ العَقبَةِ الثانيَةِ، والتي عُرفـتْ بـبَيعَةِ الحرب.

تـُرَى عَلى أيِّ شَيءٍ جَاءُوا يُـبَايعُونـَهُ ؟ أعَلى النـُّبوَّةِ أمْ عَلى الرِّسَالـَةِ ؟ وَهُمَا لا بَيعَةَ فيهِمَا مِـنْ أحَدٍ؛ لأنـَّهُمَا بوَحْيٍ مِـنَ اللهِ تبَارَكَ وَتعَالى.

لـَقدْ بَايَعُوهُ بَيعَةَ الحَرْبِ، حَرْبِ الأحمَرِ وَالأسوَدِ مِنَ النـَّاسِ، بَايَعُوهُ عَـلى أنْ يَمنعُوهُ وَيَحمُوهُ مِمَّا يَمنـَعُونَ مِنـْـهُ نِسَاءَهُمْ، وَأبناءَهُمْ ...

بَايَعُوهُ عَـلى إقامَةِ دَولـَةِ الإسلامِ، يَكـُونُ فيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الحَاكِمُ، وَهُوَ رَئيسُ الدَّولـَةِ الذي يَأمُرُ فـَيُطاع، وَأمرُهُ نـَافِذٌ عَـليهِمْ فِي كـُلِّ أحوَالـِهِمْ، فـَتـَمَّتِ الهجْرَةُ وَأقيمَتِ الدَّولـَةُ وَحُمِـلَ السِّلاحُ، وَبَدَأتْ رحْـلـَةُ الصِّرَاعِ الدَّامِي بَينَ دَولـَةِ الإسلامِ وَدَولـَةِ الكـُفرِ.

وَإنْ هِيَ إلاَّ أعوَامٌ قـَليلةٌ حَتـَّى تـَمَّ القضَاءُ عَـلى دَولـَةِ الشِّركِ وَالكـُفرِ، وَطـُهِّرتْ جَزيرَةُ العَرَبِ، وَسَادَ المَنهَجُ الرَّبـَّانيُّ، وَحُمِـلَ الإسلامُ إلى خـَارجِ الجَزيرَةِ بالدَّعوَةِ وَالجهَادِ حَيثُ أوفـَى الأنصَارُ بـبَيعتِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَتـَّى أنشـَدَ مُنشِدُهُمْ فرَحاً بهَذا الحَـدَثِ العَظيمِ :

نـَحْنُ الذينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلى الجهَادِ مَا بـَقينـَا أبَدَا

ثالثاً: بيعة الرضوان:

فِي السَّنـَةِ السَّادِسَةِ لِلهجرَةِ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عُـثمَانَ بنَ عـَفـَّانَ رضي الله عنه، فبَعـَثـَهُ إلى أبي سُـفيَانَ، وَأشرَافِ قـُرَيشٍ يُخبرُهُمْ أنـَّهُ لـَمْ يَأتِ لِحَرْبٍ وَأنـَّهُ إنـَّمَا جَاءَ زَائـِراً لِبيتِ اللهِ الحَرَامِ، وَمُعَظـِّماً لِحُرْمَـتِهِ.

فانطلَقَ عُثمَانُ حَتَّى أتَى أبَا سُفيَانَ وَعُظمَاءَ قُرَيش، فبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ مَا أرْسَلَهُ بِهِ، وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيشٌ عِندَهَا، فبَلَغَ رَسُولُ اللهِ وَالمُسلِمينَ أنَّ عُثمَانَ بنَ عَفَّانَ قَدْ قُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لا نَبرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَومَ»**.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إلى البَيعَةِ، فبَايَعُوهُ بَيعَةَ الرِّضوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فكانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ عَلى المَوتِ. وعرفت هذه البيعة بِبَيعَةِ الشجرة.

وَكانَ جَابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ يَقُولُ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يُبَايِعْنَا عَلى المَوتِ، وَلكِنْ بَايَعَنَا عَلى أنْ لا نَفِرَّ .

وَقدَ وَرَدَ ذِكْرُ بَيعَةِ الرِّضْوَانِ فِي سُورَة الفَتحِ في قوله تعالى:

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (19)} الفتح

وَانتهَى عَهدُ النُّبُوَّةِ وَالرَّحمَةِ وَبَدأ عَهْدُ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ عِندَمَا اختَارَ اللهُ رَسُولَهُ الكريمَ ﷺ إلى جوَارِهِ، حَيثُ الرَّفيقُ الأعْلى، قالَ جَلَّ شَأنُهُ:

{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ(30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)} الزمر

أحبتنا في الله:

لقَدْ كانَتْ وَفَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كالصَّاعِقَةِ نَزَلَتْ عَلى رُؤوسِ أصحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ لِدَرَجَةِ أنَّهَا أذهَلَتْهُمْ، وَأفقَدَتْهُمْ بَعضَ صَوَابِهِمْ،

حَتَّى إنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه وقف بَينَ النَّاسِ شَاهِراً سَيفَهُ صائحاً:

{إنَّ رجَالاً مِنَ المُنافِقِينَ يَزعُمُونَ أنَّ رَسُولَ اللهِ مَاتَ، وَإنَّهُ وَاللهِ مَا مَاتَ، وَلكِنَّهُ ذهَبَ إلى رَبِّهِ كمَا ذهَبَ مُوسَى بنُ عِمرَانَ ... وَقَدْ غَابَ عَنْ قَومِهِ أربَعينَ لَيلَةً ثُمَّ رَجَعَ إليهِمْ ... وَاللهِ لَيَرجِعَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَيُقَطِّعَنَّ أيدِي رجَالٍ وَأرجُلَهُمْ زَعَمُوا أنَّهُ مَاتَ ... ألا لا أسْمَعُ أحَداً يَقُولُ: إنَّ رَسُولَ اللهِ مَاتَ إلاَّ فَلَقْتُ هَامَتَهُ بِسَيفي هَذا}!

أمَّا الصِّديقُ أبُو بَكرٍ رضي الله عنه فقَدْ دَخَلَ عَلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُسجَّىً فِي نَاحِيَة البَيتِ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قبَّلَهُ وَقَالَ: {بِأبي أنتَ وَأمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، طِبْتَ حَيَّاً وَمَيتاً}.

ثُمَّ رَدَّ الثَّوبَ عَلى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ ثُمَّ خرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فدَعَاهُ لِلسُّكُوتِ، فأَبَى عُمَرُ إلاَّ أنْ يَستَرْسِلَ فِي قَولِهِ، فَلَمَّا رَآهُ أبُو بَكرٍ لا يُنصِتُ، أقْبَلَ عَلى النَّاسِ يُكَلِّمُهُمْ. فَلَمَّا سَمِعُوهُ أقبَلُوا عَليهِ مُنصِتِينَ، فحَمِدَ اللهَ وَأثْنَى عَليهِ ثُمَّ قَالَ :

{أيُّهَا النَّاسُ: مَنْ كانَ يَعبُدُ مُحَمَّداً ﷺ فإنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كانَ يَعبُدُ اللهَ، فإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ}!

ثُمَّ تَلا قَولَهُ تَعَالى: {**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ** }آل عمران144

لقَدْ أظلَمَتِ الدُنيا فِي عُيُونِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ بوَفَاةِ النَّبيِّ ﷺ لكنَّهُمْ مَعَ ذلكَ أحسَنُوا التَّصَرُّفَ حِينَ تَزَاحَمَتْ عَليهِمْ أربَعَةُ فُرُوض، هِيَ مِنْ أعظَمِ الفُرُوضِ التي فرَضَهَا اللهُ سُبحَانَهُ وَتعَالى، ولقَدْ قَامُوا رضي الله عنهم بهَذِهِ الفُرُوضِ كُلِّهَا حَسَبَ الأولَوِيَّةِ :

فانشَغَلُوا أولاً : بتَنصيبِ خَليفَةٍ لِرَسُولِ اللهِ يَخْلُفُهُ عَليهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي رئاسَةِ الدَّولَةِ الإسلاميَّةِ. انشَغَلُوا بمُبَايَعَةِ الخَليفَةِ لأنَّهَا الفرْضُ الأهَمُّ فِي إجمَاعِهِمْ بَينَ تِلكَ الفُرُوضِ كُلِّهَا .

ثانياً : ثُمَّ إنَّهُمْ قَامُوا بِدَفْنِ الرَّسُولِ ﷺ **ثانياً**.

وثالثاً : أنفَذوا بَعثَ جَيشَ أسَامَةَ بنَ زيدٍ رَضِيَ اللهُ تعَالى عنهُ الذي أمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلى قِيَادَتِهِ.

ورابعاً وأخيراً: حَارَبُوا المُرتَدِّينَ عَنِ الإسلامِ بمَنعِهِمُ الزَّكاةَ.

إخوة الإيمان: نكتفي بهذا القدر في هذه الحلقة على أن نتابع معكم في الحلقة القادمة إن ظل في العمر بقية كيف انتقلت الخلافة إلى أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وإلى ذلك الحين إن شاء الله، أستودع الله دينكم وإيمانكم وخواتيم أعمالكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.